السنة الثانية والعشرون
١٠٩٦
٢٣ / محرّم الحرام / ١٤٤٨هـ
٩ / ٧ / ٢٠٢٦م

الخميس

نشرة أسبوعية ثقافية تصدرها وحدة النشرات التابعة لمركز الدراسات والمراجعة العلمية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدّسة

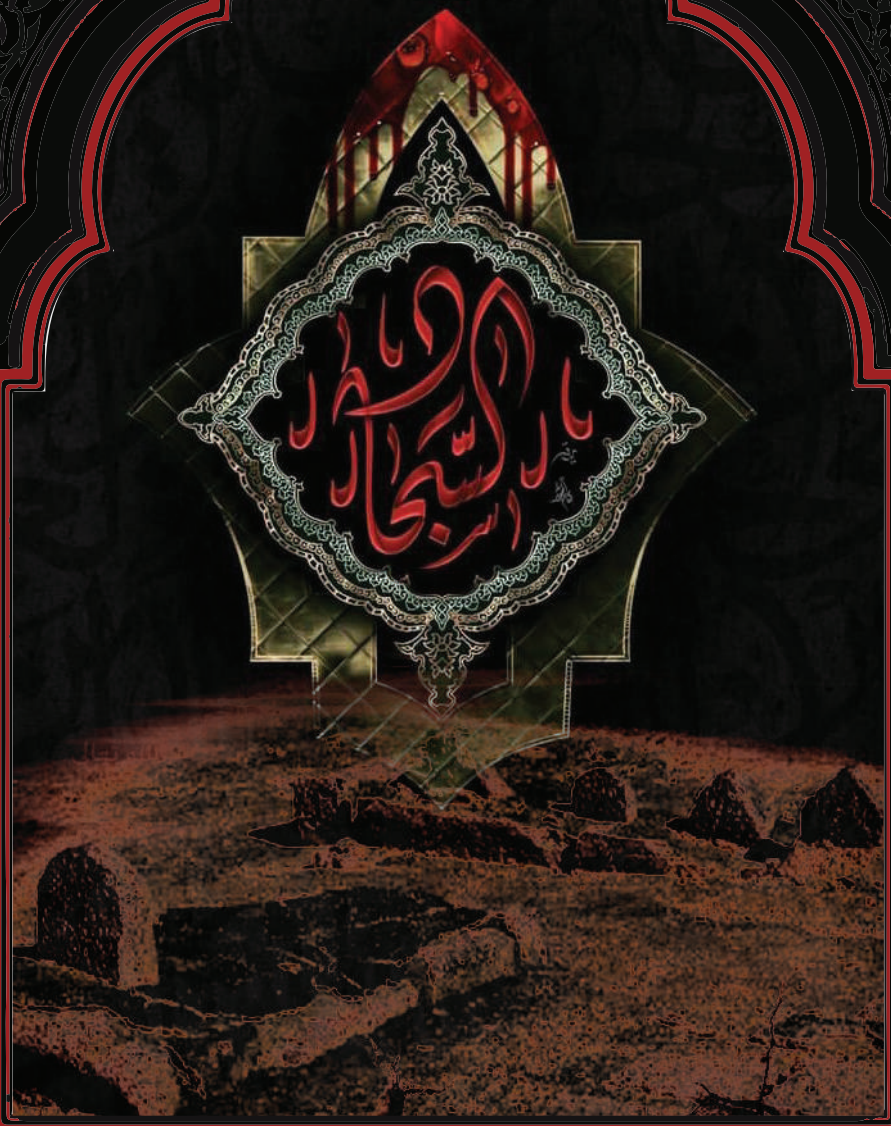

الإمام السجاد عليه السلام
باعث الإسلام من جديد

حينما استشهد الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه، عدّ الأمويون والناس: أنّ أهل البيت عليهم السلام قد انتهى أمرهم، وأفل نجمهم، فلا الأمويون يخافونهم، ولا غير الأمويين يرجونهم، هذا عدا عن عدم جرأة أحد على الاتصال بهم، وعدا عن الجهل المطبق بالإسلام، فكانت الردة عن أهل البيت عليهم السلام والابتعاد عنهم عامة وشاملة، وحتى ليقول الإمام الصادق عليه السلام: «ارتد الناس بعد قتل الحسين إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى بن أم الطويل، وجبير بن مطعم (لعل الصحيح: حكيم بن جبير)، ثم إنّ الناس لحقوا وكثروا» (راجع: رجال الكشي: ص١٢٣و١١٥، وغيره).

إذن، فلا بد للإمام السجاد عليه السلام أن يبدأ العمل من نقطة الصفر تقريبًا، ولاسيما عقائديًا، ويُعيد الإسلام من جديد، ويوجّه الناس نحو تعاليمه وأحكامه، ويُعيد للناس عقيدتهم التي كانت قد تعرضت للكثير من التحريف، وأن يعيد لهم ثقتهم بأهل بيت نبيهم عليهم السلام.

والخلاصة: أن يبدأ تمامًا كما بدأ النبي صلى الله عليه وآله فيما سبق من نقطة الصفر. والإمام السجاد عليه السلام هو خليفة ذلك النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ولا بد له أيضًا من الحفاظ على العلويين، وكلّ مَن يتشيّع لهم، ولا بد له إضافة إلى ذلك: من أن يكسر ذلك الطوق الحديدي الذي ضربه الحكم حولهم، لاحتواء كلّ تصرفاتهم ونشاطاتهم، ولا بد له كذلك من إعادة ثقة الأمة بأهل البيت عليهم السلام، وتوجيهها نحوهم وعدّهم المصدر الأصفى لتعاليم الإسلام؛ الإسلام القرآني الصحيح، ومصدر كلّ المعارف

والعلوم النافعة والأفكار الراقية، والأخلاق الفاضلة الكريمة.

ولقد نجح عليه السلام في كلّ ذلك أيما نجاح، على الرغم من قسوة الظروف و على الرغم من الأخطار الجسيمة التي كان يواجهها، إذ لم يكن له أية حماية أو رعاية من أيّ جهة كانت، ومن أي نوع كانت.

نعم، لقد نجح في ذلك نجاحًا باهرًا، حتى إنّه عندما خرج ولده زيد على الحكم الأموي، بايعته الآلاف الكثيرة وإن كانوا قد تركوه ولم يثبتوا معه، ثم توالت الثورات الشعبية العارمة واحدة بعد الأخرى، وأغلبها كان بدوافع دينية، وشعور مذهبي.

ويكفي أن نذكر أن من نتائج جهوده عليه السلام -إضافة إلى كلّ ما سبق-: أنْ هيّأ الجو على النحو الأكمل والأفضل لمدرسة الإمامين بعده: الباقر والصادق عليهما السلام.

وأما عن أسلوب عمله وجهات جهاده ونضاله، فإنّنا لا نستطيع في هذه العجالة أن نلمّ بكلّ جوانبها ومجالاتها، فضلًا عن دقائقها وتفصيلاتها، ولذلك فنحن نكتفي بالإشارة إلى الأمرين التاليين:

الأول: إضافة إلى أنّه كان يوجّه الأمة عبر سلوكه وتصرفاته ومواقفه، فإنّه كان أيضًا يوجّه الأمة عبر أدعيته، التي كان يضمّنها مختلف المعارف الإسلامية: عقائدياً -وهو الأهم- وسياسيًا وأخلاقيًا، وغير ذلك، ولم يكن بإمكان أحد أن يعترض عليه ويقول له: لا تدع ربّك، فإنّ ذلك سوف يكون مستهجنًا ومرفوضًا من كلّ أحد، إذ يرونه -بحسب الظاهر- لا يتعرض لدنيا هؤلاء الحكام، وإنّما شغل نفسه بعبادة ربّه، وتصفية وتزكية نفسه.

ويظهر أنّ الحكام أنفسهم أيضًا قد اطمأنوا إلى أنّه عليه السلام ليس في صدد التخطيط والعمل ضدهم، ولا يفكر في الخروج عليهم، فراق لهم انصرافه عن دنياهم، بل لقد أصبح له عندهم مكانة عظيمة واحترامًا خاصًا لم يكن لأحد من أهل البيت قبله، ولا كان لأحد منهم بعده، ولذلك تجد الثناء العاطر ينهال عليه من كلّ جانب ومكان، من قبل من ترضى عنهم الهيئة الحاكمة، وتعدّهم من أعوانها.

ولقد فاتهم أنّه كان في الظاهر يدعو الله (تعالى)، ولكنه كان في واقع الأمر يدعو إلى الله (تعالى)، ويوجّه نحوه ويعرّف الناس سبيله، ويضمّن كلامه الكثير من التعاليم الإلهية، والمعارف الدينية التي تهمهم في أمر دينهم ودنياهم، كما اتضح ذلك جليًا فيما بعد، وأنّه كان يقود عملية التغيير الشامل في بنية العقيدة للأمة الإسلامية بأسرها.

الثاني: اهتمامه عليه السلام المتميّز بشراء الموالي وعتقهم، حتى ليقول البعض (زين العابدين، لعبد العزيز سيد الأهل: ص٤٧): «وعرف العبيد ذلك فباعوا أنفسهم له، واختاروه وتفلّتوا من أيدي السادة ليقعوا في يده، وجعل الدولاب يسير، والزمن يمرّ، وزين العابدين يهب الحرية في كلّ عام، وكلّ شهر وكلّ يوم، وعند كلّ هفوة، وكلّ خطأ، حتى صار في المدينة جيش من الموالي الأحرار، والجواري الحرائر، وكلّهم في ولاء زين العابدين، قد بلغوا خمسين ألفًا أو يزيدون».

ويقول أيضًا: «فهو يشتري العبيد لا لحاجة إليهم، ولكن ليعتقهم، وقالوا: إنّه أعتق مائة ألف» (المصدر السابق: ص٧).

أهداف إقامة الشعائر الحسينية وإحيائها

لإحـيـاء وإقامة الشعائر الحسينية أهدافٌ عديدة، منها:

١. التثقيف والتوعية: لأنّنا نقوم عبر إقامة مجالس العزاء والحزن بتجديد البيعة مع الإمام الحسين عليه السلام وتأييد نهضته، والدعوة إلى نهجه، وبيان أهدافه وحقانيته وسيرته المباركة وتضحياته العظيمة من أجل الإسلام والمسلمين، ونتعَلّم معالم الدين والمذهب في مدرسة الإمام الحسين عليه السلام.

٢. تخليد النهضة الحسينية: نقوم بإحياء الشعائر الحسينية حتى لا تنسى الأمة الإسلامية تلك النهضة العظيمة، وحتى لا ينسى أو يتناسى التاريخ تلك الملحمة الكبرى والنهضة المباركة وتبقى حية نابضة ما بقيت الدنيا.

٣. التفاعل الفردي والاجتماعي: ونقوم بإحياء هذه الشعائر من أجل التفاعل الفردي والاجتماعي مع هذه النهضة المباركة وحصول حالة التأثر والحزن، عبر استذكار حوادثها الأليمة والظلم الذي جرى على أبطال هذه الملحمة الكبرى، وهذا التفاعل قد يحصل للإنسان عبر مطالعة تاريخ هذه النهضة أو سماع بعض الأشرطة، فيكون مأجورًا ومثابًا.

٤. الإعلام الرسالي الهادف: إذ نقوم عبر إقامة العزاء الحسيني وتسيير المسيرات والمواكب وغيرها من صنوف الشعائر الحسينية بعمل إعلامي فريد، إذ نقوم بتحريك الرأي العام وتوحيد الصفوف ورصّها أمام الأعداء، ومن الواضح أنّ العمل الإعلامي يحتاج إلى التظاهر والخروج إلى الشارع والاستنكار ورفع الصوت بل حتى الصراخ والعويل في وجه الطغاة، إذ لا يكفي الحزن القلبي وذرف الدموع في زاوية البيت.

إذن، فلا بد لنا من أن نأخذ بعين الاعتبار جميع الأهداف والمقاصد، وأن نُعطي كلًا منها ما تستحقه من العناية والاهتمام، وأن نعرف بأن الهدف من إقامة الشعائر الحسينية لا ينحصر في المشاركة في المجالس والبكاء والحزن القلبي، كما هو واضح.

الشيخ صالح الكرباسي

لماذا لا بدّ من تخليد ذكرى عاشوراء؟

إنّ الحوادث الماضية في كلّ مجتمع يمكن أن تكون لها آثار ضخمة في مصير ذلك المجتمع ومستقبله، وإحياء تلك الخواطر هو في الواقع لونٌ من إعادة النظر والصياغة الجديدة لتلك الحادثة حتّى يتيسّر للناس أن ينتفعوا بتلك الواقعة، فإذا كانت الحادثة نافعة عند حدوثها وكانت منشأً لآثار طيبة وبركات كثيرة، فإنّ إعادة النظر إليها وإعادة صياغتها يمكن أن تنال شيئًا من تلك البركات.

وعلاوةً على ذلك، فقد اعتادت المجتمعات البشريّة على أن تقوم بإحياء حوادث الماضي بشكل من الأشكال، وأن تكبّرها وتضفي عليها ألوانًا من الاحترام والتقدير، سواء أكانت متعلّقة بأشخاص كان لهم دورٌ مؤثّرٌ في رقيّ مجتمعاتهم كالعلماء والمكتشفين، أم كانت متعلّقة بأشخاص تميّزوا بدورٍ حسّاسٍ في تحرير أممهم من الناحية السياسيّة والاجتماعيّة وقد أصبحوا أبطالًا وطنيين.

إنّ جميع العقلاء في العالم يحيون ذكريات مثل هذه الشخصيّات البارزة، ويتمّ هذا الأمر حسب واحدةٍ من أقدس الرغبات الفطريّة التي أودعها الله سبحانه في أعماق جميع الناس، ويعبّر عنها بـ(حسّ الشكر والاعتراف بحقّ الآخر).

ومن هنا فهناك رغباتٌ فطريّةٌ موجودةٌ في أعماق جميع الناس، وهي تدفعهم للاعتراف بحقّ مَن أسدى إليهم خدمةً وشكرهم عليها، وأن يتذكّروها ويحترموا ذكراها.

وإضافة إلى هذا، فإنّ إحياء تلك الخواطر -إذا كان لها في الماضي تأثيرٌ في سعادة ذلك المجتمع- يمكن أن يشكّل عاملًا مؤثرًا آخر في زمان بيان تلك الخواطر، وعندئذ تكون تلك الحادثة كأنّها قد تجدّدت.

ولمّا كُنا نعتقد أنّ حادثة (عاشوراء) قد كانت حادثةً عظيمةً في تاريخ الإسلام، وقد كان لها دورٌ مصيريٌّ في سعادة المسلمين، وتبيين سبيل الهداية للناس؛ لهذا تصبح هذه الحادثة ذات قيمةٍ عظيمةٍ عندنا، ويغدو إحياؤها وتذكرها وإعادة صياغتها أمرًا لا يمكن التفريط به؛ لأنّ بركات ذلك سوف تشمل مجتمعنا المعاصر.

(بارقة من سماء كربلاء، الشيخ مصباح اليزدي: ص ٨)

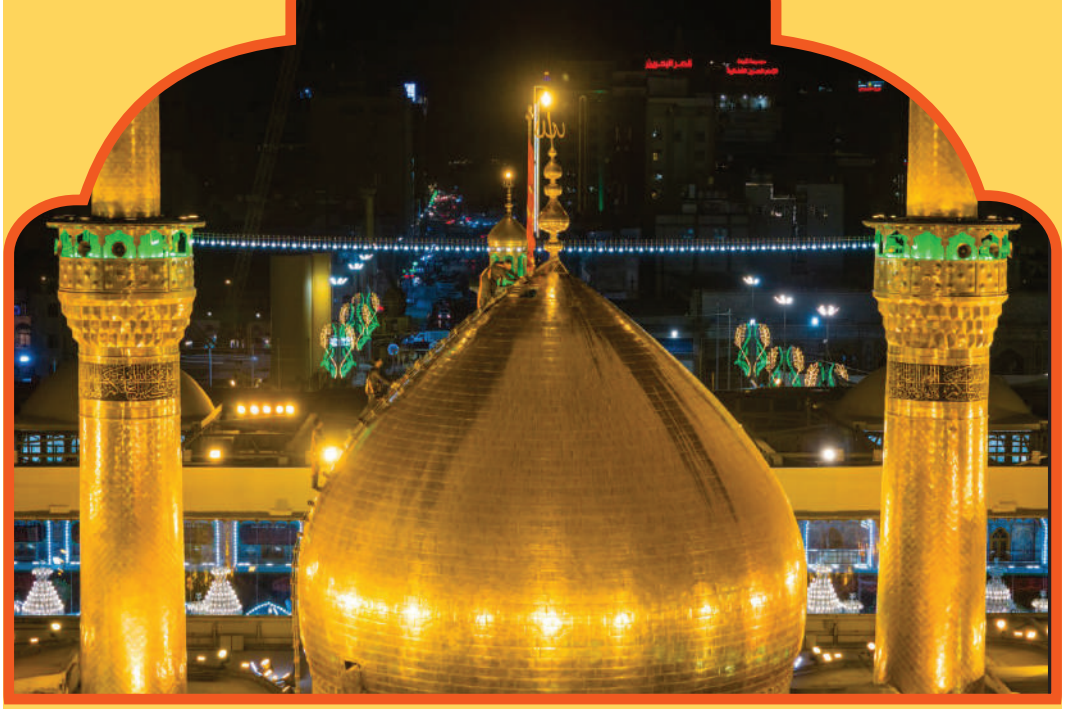

المظاهر الفذّة في شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام /١

❊ قوة الإرادة:

من النزعات الذاتية لأبي الشهداء عليه السلام قوّة الإرادة وصلابة العزم والتصميم، وقد ورث هذه الظاهرة الكريمة من جدّه الرسول صلى الله عليه وآله الذي غيّر مجرى التاريخ وقلب مفاهيم الحياة ووقف ثابتًا وحده أمام القوى الهائلة التي هبّت لتمنعه من أن يقول كلمة الله، فلم يعن بها وراح يقول لعمه أبي طالب مؤمن قريش:

«والله لو وضعوا الشمس بيميني والقمر بيساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى أموت أو يظهره الله..».

بهذه الإرادة الجبارة قابل قوى الشرك واستطاع أن يتغلب على مجريات الأحداث، وكذلك وقف سبطه العظيم في وجه الحكم الأموي، فأعلن بلا تردد رفضه لبيعة يزيد وانطلق مع قلة الناصر إلى ساحات الجهاد؛ ليرفع كلمة الحق ويدحض كلمة الباطل، وقد حشّدت عليه الدولة الأموية جيوشها الهائلة، فلم يحفل بها وأعلن عن عزمه وتصميمه بكلمته الخالدة قائلاً:

«لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برمًا..».

وانطلق مع الأسرة الكريمة من أهل بيته وأصحابه إلى ميدان الشرف والمجد؛ ليرفع راية الإسلام، ويحقق للأمة الاسلامية أعظم الانتصارات والفتح حتى استشهد عليه السلام، وهو من أقوى الناس إرادة وامضاهم عزيمةً وتصميمًا، غير حافل بما عاناه من الكوارث التي تذهل العقول وتحير الألباب.

(حياة الإمام الحسين، الشيخ باقر القرشي: ج١ /ص١١٢)

الإصلاح العقائدي والأخلاقي للإمام السجّاد عليه السلام

عني الإمام زين العابدين عليه السلام، عبر سيرته العطرة، ببناء المجتمع الإسلامي بناءً عقائديًا وأخلاقيًا عناية بالغة، لا سيّما في المرحلة التي أعقبت فاجعة الطف، لما وصل إليه حال المجتمع آنذاك من انهيار الجانب العقائدي والأخلاقي، وابتعاد الناس عن دينهم..

لقد استطاع الإمام السجّاد عليه السلام، وهو في قيد المرض، ورهن الأسر الأموي والإقامة الجبرية، أن ينشر أهداف النهضة الكبرى التي فجرها أبوه سيد الشهداء عليه السلام، وذلك بالسعي إلى إصلاح المجتمع الإسلامي، وبث روح التدين والأخلاق الفاضلة فيه. فتمكن -على الرغم من العقبات والصعوبات- أن ينشر الحياة في جسد الأمة الذي دبت فيه أمارات الموت، بسبب ابتعاده عن قيم الإسلام، والاستسلام لسياسة التجهيل والتضليل الأموي لشلّ حركة المجتمع الإسلامي، وتعطيل تفكيره، وأخلد إلى الراحة وطلب العافية.

وكانت الخطة الإصلاحية للإمام زين العابدين عليه السلام تعطي الأولوية لتدارك ما أصاب الأمة من ابتعاد عن القيم الروحية، وسلوك الاتجاه المادي البعيد عن كلّ ما يمت للآخرة بصلة، وذلك عبر:

١) انقطاعه إلى الله تعالى بالعبادة والمناجاة، حتى سُمّي لكثرة عبادته بـ(زين العابدين) و(سيد الساجدين) و(ذي الثفنات)، ولم يعرف المسلمون في زمانه رجلًا أعبد منه ولا أزهد، وظهرت آثار العبادة على جسده الشريف، وكان يطوي كثيرًا من لياليه في المسجد الحرام يؤدي نسكه وعباداته، وقد رُويت مشاهد كثيرة لعبادة الإمام زين العابدين عليه السلام أدهشت مَن حوله، وأعادت إلى الناس صورة عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وجده أمير المؤمنين عليه السلام.

وما (المناجاة الخمس عشرة) إلا من رشحات نفسه القدسية، وفيها من فنون الدعوات، وآداب مخاطبة المعبود، ما لم يكن مألوفًا لدى عبّاد ذلك العصر، فضلًا عن اكتنازها لمطالب عالية في العقائد والأخلاق.

وقد أثرى الإمام زين العابدين عليه السلام المجتمع الإسلامي، بل الفكر البشري، بكنوز العلم والحكمة عن طريق الدعاء، فحينما مُنع من إلقاء توجيهاته ودروسه عن طريق المنبر، تحول إلى المحراب ليبث علومه ومبادئه في الصحيفة السجادية المعروفة بزبور آل محمد، ولم تكن تلك الأدعية للرهبانية والتصوف واعتزال المجتمع، بل هي كنوز معرفية ترسم للمجتمع الإسلامي البرامج العقائدية والأخلاقية.

٢) كثرة البرّ والإحسان للمحتاجين وخصوصًا طبقة العبيد، فقد كان عليه السلام يشفق عليهم كثيرًا، وحفظت لنا النصوص التاريخية صورًا مشرقة في تعامله مع العبيد، وحرصه على تحريرهم من الرق والعبودية، حتى عدّ ذلك ظاهرة بارزة في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام.

السيد نبأ الحمامي

سلاح المحراب والدعاء

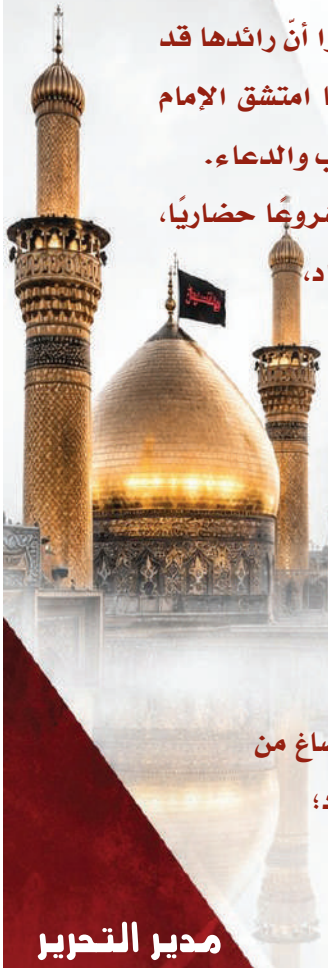

حين انقشع غبار الطف، وخُيّل لخفافيش الظلام أنّ شمس الإمام الحسين عليه السلام قد غابت تحت حوافر الخيل، وأنّ دماء كربلاء ابتلعتها صحراء النسيان، انبثق من بين رماد الخيام المحترقة صوتٌ لم تزده القيود إلا تحرّرًا، ولا الآلام إلا عنفوانًا؛ إنّه إمام العابدين عليه السلام وبوصلة أرواح التائهين.

لقد ظن الطغاة أنّهم بقطع الرؤوس وأدوا نهضة الإصلاح، ولم يدركوا أنّ رائدها قد خلّف وريثًا سيحيل الدموع إلى أشعة وعي في ضمير الأمة، حينما امتشق الإمام السجاد عليه السلام سلاحًا لا تفلّه السيوف ولا تطاله الرماح: سلاح المحراب والدعاء.

إنّ دعاء الإمام السجاد عليه السلام -فضلًا عن كونه ابتهالًا وتنسكًا- كان مشروعًا حضاريًا، ومنهجًا تربويًا متكاملًا، وثورةً ناعمة تدك حصون الجهل والاستعباد، إذ أدرك عليه السلام أنّ الأمة نخرها الفساد وانحرفت عن قيمها، فكان لا بدّ من ترميم بنيانها الاجتماعي الذي صدّعته الشبهات والفتن، وعبر خيوط المناجاة وطيات الصحيفة السجادية بثّ عليه السلام أسمى المفاهيم التربوية ورسّخ حقوق الإنسان والمجتمع.

وبهذا، كان الإمام زين العابدين عليه السلام الجناح الآخر لنهضة عاشوراء؛ فإذا كان الإمام الحسين عليه السلام قد زلزل عروش الظالمين بدمه، فإنّ الإمام السجاد عليه السلام قد زلزل عروشهم بدمعه ودعائه.

إنّه الامتداد الحي لنداء: (هل من ناصر ينصرنا)، والمعلّم الذي صاغ من الحزن مدرسةً للوعي، فكان بحقٍّ الصوت الذي تردّد في آفاق الخلود؛ ليشهد التاريخ أنّ كربلاء لم تنته بسقوط الأجساد على رمضاء الطف، بل بدأت في وعي الأجيال.

مدير التحرير

الإشراف العام: السيّد عقيل الياسري / رئيس التحرير: الشيخ حسن الجوادي / مدير التحرير: الشيخ علي الأسدي
سكرتير التحرير: منير الحزامي / التدقيق اللغوي: أحمد كاظم الحسناوي / المراجعة العلمية: الشيخ حسين مناحي
المراجعة الفنية: علاء الأسدي / التصميم والإخراج الطباعي: السيد حيدر خير الدين / الأرشفة والتوثيق: منير الحزامي
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (١٣١٩) لسنة ٢٠٠٩م.

تنبيه: تحتوي النشرة على أسماء الله تعالى وأسماء المعصومين عليهم السلام، فالرجاء عدم وضعها على الأرض؛ تجنُّباً للإهانة غير المقصودة. وننبه على أنّه لا يجوز شرعاً لمس كتابة القرآن واسم الجلالة وسائر أسمائه وصفاته إلّا بعد الوضوء أو الكون على الطهارة.